مقصورة النجّار الشامي

الدكتور حسين علي محفوظ

تعود معرفتي بآثار علامة الشام الأستاذ محمد كرد علي إلى أوائل الأربعينيات ؛ فقد كان كتاب (أمراء البيان) و (الإسلام والحضارة) و (خطط الشام) من خيار ما اطلعت عليه من مؤلفاته ، ومن أوائل ما تصفحت – في يفاعي – من كتب .

وقد كتب علامة العراق صديقنا المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى محمد كرد علي يعرفه بي – لما سافرت إلى لبنان – في صيف سنة ١٩٥٠م ولقد كانت تلك المألكة بداية التعارف ، وفاتحة الصداقة ، وأولى وثائق المودة التي أولانيها « المجمع العلمي العربي » ، وبادلني بها أفاضله ، وما زلت أتمتّع بها ، يوصي بها السلف الخلف ، ويورثها السابق اللاحق .

هذا ، وكنت عثرت قديماً في خزانة الرئيس القطب العلامة العارف الشيخ محمد باقر الفت بأصفهان على نسخة فريدة من ديوان الحافظ محمد النجار الشامي ، وصفتها في مجلة المجمع العلمي العربي « مج ٣٤ ج ٣ ص ٥٤١ – ٥٤٣ » سنة ١٩٥٩ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن طرائف هذا الديوان قصيدة لغوية نادرة في النصيحة والموعظة والزهد . وهي مقصورة ممتعة نافعة لولا ما فيها مما يخالف المأثور المعروف من أصول اللغة – رسماً أو لفظاً أو معنى وهو قليل معدود .

وهأنذا أقدم هذه المقصورة إلى مجمع اللغة العربية بدمشق تحيّةً في ذكرى مؤسسه العظيم ورئيسه القديم .

قال الحافظ محمد النّجار :

١ يا أخا الحزم كن فتى يعـــرف الداء والدوا
٢ وعلى النفس والهـوى عقله ســـاد واستـــوى
٣ يصحب الدين والهـدى والتقى عنـــده ثـــوى
٤ ليس يصبو لمطمـــعٍ لا ، ولو دهـــره طـوى
٥ قلبـــه عن رشـــاده مـــا تولّى ، ولا غـــوى
٦ سالكا خير منهـــجٍ باذل الجهـــد والقـــوى
٧ مُعرضا عن زخارف صارمـــاً ربقـــة الهـوى
٨ شاهـداً في ضميـــره فالق الحـــبّ والنـــوى
٩ قاطعـــاً حسن سيره للحمـــى شقـــة الذـوى
١٠ وعلى غـــير مسعـــدٍ – عنـد مولاه – مـا نوى
١١ وعلى شأن حالـــه مقبـــلاً قطّ ما لوى
١٢ بين خوف إذا هفـــا ورجـــاءٍ إذا استـــوى
١٣ باع دنيـــاه رهبـــةً ولدار البقـــا شـــوى
١٤ لم يلـــه عن التقـى فـــاخر النقـد والشوى
١٥ ليس بالفـــظّ لا ولا شأن أخـــلاقه الجوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦ لا تكن - إن تكن فتى - مثل من قلبه دوى
١٧ من دوى قلبه فقد أعجز الطب والدوا
١٨ وهو في دائه استوى مع أخي الطيش والدوى
١٩ ويح قلبٍ مصابه في زواياه قد دوى
٢٠ لم يعرّج على التقى - قط - يوماً ، ولا ارعوى
٢١ باع أخراه بالدنى وإلى الدرك قد هوى
٢٢ يا أخا الحزم كن كمن للدنى قطّ ما انغوى
٢٣ قلبه قلب خاضعٍ حيثما ذكّر ائتوى
٢٤ جسمه جسم خاشعٍ من توالي الظما ضوى
٢٥ ما ترضّى لنفسه ولها - قط - ما اقتوى
٢٦ غير مرضاة ربه قبل أن شب واستوى
٢٧ هكذا كن إلى اللقا والزم السيرة السوى
٢٨ وادّكر حال من مضى واعتبر بالذي ثوى
٢٩ وافتكر في الذي قضى وبذاك الحمى ثوى
٣٠ واصحب الناس إن دعت حاجة ، ما خلا البوى
٣١ واطّرح صحبة الذي كشحه عنك قد طوى
٣٢ وتباعد عن الذي نصحه عنك قد طوى
٣٣ واهجر النيّكس والذي عند أعداك ، قد طوى
٣٤ واترك الخائن الذي صحف ميثاقه طوى
٣٥ والذي تبصر الحشا منه قد ضاق واجتوى
٣٦ هبه كالميت في الثرى أو كبقل وقد ذوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٧ أو تخيّلْـــه في الرها ومغانيـــك في طُـــوى
٣٨ وإذا شمـت في الورى غفـــلةً تمـــلأ الهـــوا
٣٩ فارحم الخلـــق جملةً فـــاز مـــن للورى أوى
٤٠ واحفظ الجار إن تكن مسلمـــاً وافـــر القوى
٤١ واعتزل غـــالب الورى وَلْيَسعْ شخصك الحِوَى
٤٢ لم يفز في الورى سوى مـــن توارى أو انزوى
٤٣ وعن الغـــير سِرّه جلّ أو قلّ قـــد زوى
٤٤ وإلى الله وحـــده لا إلى غـــيره ضـــوى
٤٥ واتقى وارعـــوى ومين بحـــر إفضـــاله ارتوى
٤٦ جـــلّ رباً وخالقاً حكمـــه القسط والسوى
٤٧ لم يضع قـــدر ذرة ولهـــا رحمـــة نوى
٤٨ كل من بات ضارعـــاً وإلى فضـــله أوى
٤٩ وإلى بابـــه التجـــا لم يكلـــه إلى الســـوى
٥٠ قم إذا جنّـــك الدجى وارفـــع الطرف والشوى
٥١ والصق الخـــد بالثرى واسكب الدمـــع كالجوى
٥٢ وتضـــرّع إلى الذي قد تعـــالى عن الســـوى
٥٣ قل إلهـــي وسيدي من على عرشـه اســـتوى
٥٤ أنت بالحـــال عـــالم مسّني الكرب والجوى
٥٥ وإذا ضـــاق بي الفلا فاكفني الصعب والشوى
٥٦ ها أنا قمت ضارعـــاً في الدجى ناصـــب الشوى
٥٧ سائـــلاً بالذي عـــلى كل مجدٍ قد احتـــوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٨ والذي جـــاء بالهدى صـــاحب الحوض واللوا
٥٩ أفضـــل المرسلين من ذكره الدهرَ – ما انطوى
٦٠ من سرى في الدجى إلى فوق عـــرش ومستوى
٦١ جاوز الحجب وارتقى بعدما الأرض قد طـــوى
٦٢ يا لـــه من مقـــدَّم منتهى العزِّ قـــد حوى
٦٣ صلِّ – يا خالقي على ذاتـــه الأوحد التـــوى
٦٤ وعـــلى آل بيتـــهِ وعلى الصحب مـــا روى
٦٥ عنـــه راوٍ حديثـــه إن للمـــرء مـــا نوى

بغداد حسين علي محفوظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net